

البنية العمرية للسكان وعلاقتها بالهبة الديموغرافية في العراق نظرة جغرافية وتحليل ديموغرافي

أ.د. عباس فاضل السعدي
استاذ الجغرافيا والدراسات السكانية بجامعة بغداد

الخلاصة

تتصف البنية العمرية لسكان العراق بفتوة تزيد عما يناظرها في الوطن العربي. وبلغت نسبة فئة العمر الصغيرة (أقل من ١٥ سنة) ٤١% والفئة الوسطى (١٥-٦٤ سنة) نحو ٥٦,١% ونسبة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) ٢,٩%.

ويبلغ العمر الوسيط حتى ما بعد عام ٢٠١٠ أقل من ٢٠ سنة ومنذ عام ٢٠١٥ سيصل الى أكثر من ٢٠ سنة ، مما يجعل المجتمع العراقي ذا عمر وسط . وتبرز فئتي العمر الشابة (١٥-٢٩ سنة) في الهرم السكاني وارتفاع معدل الفئة الوسطى مقابل انخفاض معدل نمو الفئة المعالة وهو ما يعرف بالهبة أو النافذة الديموغرافية.

ولا يمكن أن يحدث التأثير الايجابي للنافذة الديموغرافية في التنمية ما لم تتبع سياسة مؤسسية تحقق التكامل بين جانب العرض الذي يتمثل بإنفتاح النافذة وبين جانب الطلب الذي تمثله حيوية الاسواق وبناء القدرات البشرية وتوسيع مشاركة الشباب في العمل والقضاء على الفساد المالي . ويبدو ان العراق يسير في الاتجاه المعاكس.

**The Age Structure of Iraqi Population and its Relationship with the
Demographic Donation
Look Geographic and Demographic Analysis**

Prof. Dr. Abbas Fadhil Al-Saadi
Professor of Geography and Population Studies at the University of Baghdad

Abstract

Characterized the age structure of Iraqi population that it is adolescents or adults society than corresponding increase in the Arab Countries . The percentage of the small age group (less than 15 years) is 41% and of middle group (15-64 years) about 56.1% and the proportion of elderly (65 + years) is 2.9 % at the year 2009 .

The median age until after the year 2010 less than 20 years and since 2015 will generated more than 20 years , making the age of Iraqi society at a amid . And highlights the young age group (15-29 years) in the population pyramid and high growth rate in the middle age group, while the low rate of growth is in dependency group which is known as "demographic donation or window".

It can not happen the positive impact of the demographic window in the development did not follow the policy of institutional integration achieved between the supply side , which represent the opening up of demographic window and between the demand side , which represent the active of markets and human capacity building and expanding the participation of young people in work and the elimination of financial corruption . It seems that Iraq is moving in the opposite direction

البنية العمرية للسكان وعلاقتها بالهبة الديموغرافية في العراق نظرة جغرافية وتحليل ديموغرافي

أ.د. عباس فاضل السعدي
استاذ الجغرافيا والدراسات السكانية بجامعة بغداد

نشر في مجلة صحة الاسرة العربية والسكان في القاهرة، العدد ١٧، يناير ٢٠١٤، ص ١-٢٢

مقدمة

يهدف البحث الذي نحن بصددده الى التحري عن مقدار العلاقة الموجودة بين البنية العمرية للسكان ومصطلح (الهبة الديموغرافية) التي تظهر مرة واحدة في المجتمعات البشرية في بدايات تحولها الديموغرافي. وكذلك التحري عن مقدار التغيرات التي حصلت وتحصل في التركيبة العمرية للسكان من خلال التغيرات الديموغرافية التي شهدتها العراق، نتيجة لتغيرات مستويات الخصب والوفيات والهجرات ومايتبعها من تغيرات في معدلات النمو السكاني وتوقع الحياة. مما قد يؤدي الى تغيرات في شكل الهرم السكاني (العمرى والنوعي) بين مدة واخرى تبعاً للمراحل الزمنية التي يمر بها السكان بل ومن مكان لآخر تبعاً لطبيعة ذلك المكان والمراحل التي يمر فيها فينعكس ذلك على تباين العلاقة بين العمر والهبة الديموغرافية بين محافظة واخرى التي تتوزع في مناطق تضاريسية ومناخية مختلفة ، سهلية وهضبية وصحرائية وجبلية ومناطق أهوار ومستنقعات. حيث تتأثر تلك المحافظات أيضاً بمحيطها العربي والاسلامي، بل وأبعد من هذا المحيط. وعليه فان حدوث التغيرات الجغرافية والديموغرافية في هذه المحافظات أمراً طبيعياً، مما ينعكس على العلاقة بين البنية العمرية والهبة الديموغرافية التي سيقع العراق على اعتبارها بعد بضعة سنوات . مما تتطلب مرحلة جديدة ينبغي التخطيط لها لكي يدخل العراق في تأثيراتها الايجابية دون أن يحصل هدر في طاقات الانسان وقدراته فيؤثر على بناء اقتصاده والتنمية فيه.

أما مشكلة البحث فتتمثل بسؤال مفاده: هل توجد علاقة متينة بين البنية العمرية للسكان وتغيراتها على ظاهرة النافذة أو الهبة الديموغرافية التي تظهر بعد ارتفاع معدلات نمو الفئة السكانية النشطة والمنتجة (الوسطى) بحيث تفوق معدلات نمو الفئة المعالة (الصغيرة والكبيرة)؟

والاجابة على السؤال يمثل فرضية البحث التي تتحدد بوجود علاقة متينة بين البنية العمرية وتغيراتها والهبة الديموغرافية، وهي تتباين من مكان لآخر ومن محافظة لأخرى . مما

يتطلب الاستعداد والتخطيط لها والدخول في الخيار الايجابي الذي يساعد في بناء قدرات الانسان لاسيما الشباب منهم.

وعلى الرغم من وجود مناهج علمية مختلفة يتبعها الدارسون في دراساتهم لمعالجة المواضيع السكانية، إلا أن الباحث اتبع **المنهج التحليلي** المعتمد على الارقام التي توفرها التعدادات السكانية والدراسات بالعينة التي تقوم بها وزارة التخطيط بأقسامها المختلفة وبالتعاون مع المنظمات الدولية المختصة في العراق، خاصة وأن عيناتها تؤخذ من جميع محافظات القطر ووحداته الادارية الصغرى ومناطقه الطبيعية المختلفة (التضاريسية والمناخية والنباتية).

البنية العمرية للسكان

يدخل هذا العنوان ضمن موضوع تركيب السكان Population Structure الذي يشمل جميع الحقائق السكانية التي يمكن قياسها. وغالبا ماتحدد بيانات التعدادات السكانية طبيعة هذه الحقائق والخصائص من جوانبها المختلفة والتي تكسب المجتمع شخصية تميزه عن مجتمعات أخرى. ولقد بدأ الجغرافيون يهتمون بدراسة هذه الخصائص وانتشارها المكاني واختلافها الاقليمي بين الدول ومناطقها الحضرية والريفية وبين المجاميع العرقية أو الدينية في الدولة الواحدة والمتغيرات المؤثرة في تبايناتها^١.

ويمكن تصنيف هذه الخصائص الى مجموعتين: الاولى تتضمن الخصائص السكانية الطبيعية (أو البيولوجية) وهي المتعلقة بالعمر والنوع، وقد يطلق عليها اسم (الجوانب الكمية) والثانية وتتضمن تصنيفهم بحسب الخصائص الاقتصادية والاجتماعية والحضارية مثل الدين واللغة والقومية والحالة التعليمية والزواجية وغيرها^٢، ويمكن أن يطلق عليها اسم (الجوانب النوعية).

وتعد البنية النوعية والعمرية للسكان من بين أهم العوامل المؤثرة في التغيرات الديموغرافية، إذ أن تصنيف السكان بحسب فئات الأعمار والنوع يحدد طبيعة تطورهم. فهو يؤثر على تكوين الولادات والوفيات وبالتالي على اتجاه الخصب ومقدار النمو الطبيعي. كما يؤثر على الحراك السكاني وذلك لارتباطه بالقوة الانتاجية للسكان ومقدار حيوتهم وفعاليتهم الاقتصادية والتي تؤثر بدورها على حجم الهجرة واتجاهاتها^٣

وتكاد تعد دراسة البنية النوعية والعمرية للسكان من أهم وأخطر الامور التي أصبح على الدول ادراكها من أجل وضع أسس منهجية للحاضر والمستقبل، لما لهما من دلالة خاصة لكثير من مظاهر الحياة الاجتماعية والنشاطات الاقتصادية والاتجاهات السياسية والعسكرية للسكان^٤ وللبنية العمرية لسكان العراق تأثير بارز في المستويات الديموغرافية والتي هي في الأساس محصلة لها والدلالة الأساسية في قياسها وحساب مؤشراتها. وهي العامل الحاسم في تحديد

حجم العرض من القوى البشرية وبضمنها قوة العمل وبالتالي مستويات عبء الإعاقة الاقتصادية، كما أنها إحدى محددات أنماط الإستهلاك من السلع والخدمات^٥

والبنية العمرية أشد تعقيداً من البنية النوعية بسبب تعدد تصنيف الأعمار. كما يمكن أن تنشأ مشكلات بصدد تعريف السن والتبليغ عنها وتسجيلها. ولكن المشكلات المتعلقة بعدد أفراد كل مجموعة عمرية لا تنطوي فقط على أخطاء ناشئة عن الحصر الناقص (أفراد يغفلهم التعداد) ولكنها تنطوي أيضاً على أخطاء إضافية متصلة بالجهل والإهمال والتمثيل الخاطيء. وقد يوجد تعمد في تسجيل بيانات خاطئة عن السن لأسباب سياسية أو اقتصادية أو شخصية^٦

فأعداد الإناث غالباً ما تكون أقل دقة من أعداد الذكور، كما ان إهمال تسجيل الاطفال كثير الحدوث. ولحسن الحظ فلدى المختصين بالاحصاء الديموغرافي عدة طرق لتحديد مدى دقة العمر^٧. وبالتالي لابد من تعديل البيانات التي يشك في دقتها قبل اجراء التحليلات. ومن المؤشرات المستخدمة في معرفة مدى التحسن في الادلاء ببيانات العمر رقمي (ويبل) Whipple^٨ و(مايرز) Myers^٩. وعند تطبيق هذين المؤشرين في العراق في ثلاثة تعدادات سكانية يظهر وجود تحسن في الإدلاء ببيانات العمر من تعداد الى آخر^{١٠}. فقد بلغ رقم (ويبل) في تعداد عام ١٩٥٧ نحو (٢٢١)، انخفض الى (١٣٩) في تعداد عام ١٩٧٧ والى (١٢٠) في تعداد عام ١٩٨٧. مما يشير الى التحسن في الادلاء بتلك البيانات عن العمر من تعداد لأخر. وهناك أيضاً مؤشر (مايرز) الذي تتراوح أرقامه من الناحية النظرية بين (صفر و ١٨٠). وبلغ في العراق بحسب تعداد عام ١٩٧٧ نحو (١٨). وفي عام ١٩٨٧ إنخفض الى (٩،٨)، وهو تأكيد للتحسن المشار اليه في رقم (ويبل) بين التعدادين الأخيرين (حسابات الباحث).

وعموماً تتصف البنية العمرية لسكان العراق بفتوة تزيد عما يناظرها في الوطن العربي والبالغة ٤٣%^{١١}، حيث توجد نسبة عالية من الاطفال والمراهقين والشباب، إذ أن اكثر من ثلثي سكانه هم دون سن الثلاثين من عمرهم عام ٢٠٠٩. وبلغت نسبة صغار السن ممن تقل أعمارهم عن ١٥ سنة نحو ٤٩% من مجموع السكان في تعداد عام ١٩٧٧، انخفضت في تعداد عام ١٩٨٧ الى ٤٥،٨%. وهي نسبة مرتفعة بسبب ارتفاع مستويات الخصب في العراق، ثم انخفضت الى ٤٤،٢% عام ١٩٩٧ والى ٤١% عام ٢٠٠٩.

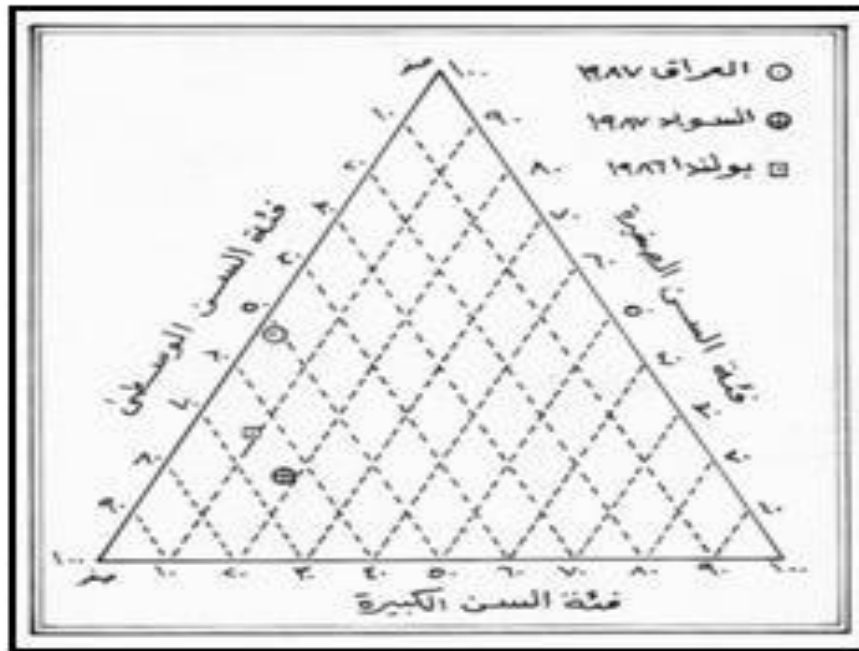
ويعود سبب انخفاض النسبة المذكورة الى تناقص الخصب السكاني نتيجة للتحويلات الاقتصادية والاجتماعية للسكان، وارتفاع معدل الوفيات وبخاصة الذكور منهم والناجمة عن الحرب العراقية الايرانية والعقوبات (الحصار الاقتصادي) التي فرضت على العراق بعد عام ١٩٩١.

أما الفئة الوسطى فقد بلغت نسبتها ٤٦,٩% في تعداد عام ١٩٧٧، ارتفعت في عام ١٩٨٧ الى ٥٠,٧% ثم الى ٥٢,٤% عام ١٩٩٧ والى ٥٦,١% عام ٢٠٠٩. وهذا الارتفاع ناجم عن انخفاض نسبة الفئة العمرية اقل من ١٥ سنة خلال هذه المرحلة. في حين لم تزد نسبة كبار السن عن ٤,١% في عام ١٩٧٧ و ٣,٥% في عام ١٩٨٧ و ٣,٤% عام ١٩٩٧ (*) و ٢,٩% عام ٢٠٠٩.

والملاحظ أن نسبة الذكور تزيد قليلا عن الاناث في الفئتين الصغيرة والوسطى. في حين تتفوق نسبة الاناث في فئة العمر الكبيرة (الثالثة) بسبب ارتفاع متوسط عمر الاناث.

ولتمثيل الاهمية النسبية للمجموعات السكانية العمرية الثلاث على صورة رسم بياني ومقارنتها بين عدة اقطار، استخدم المثلث السكاني Triangular Population Diagram لتوضيح التركيب العمري للمجتمعات المختلفة ومقارنتها، حيث تثبت النسب المئوية بعمر اقل من ١٥ سنة على ضلع المثلث الايمن، والنسب العمرية لفئة ١٥-٦٤ سنة على يسار المثلث، بينما تمثل قاعدة الهرم النسب المئوية للسكان ٦٥ سنة فاكثر. كما تحدد الاقطار بنقاط متميزة داخل المثلث السكاني لتشير الى النسب المئوية ازاء المجموعات السكانية لكل ضلع من الثلث والذي يمثل الصغار والبالغين والكبار في المجتمعات المقارنة^{١٣}.

وقد رسم في الشكل (١) المثلث السكاني وقورنت المجموعات العمرية الثلاث لكل من العراق وبولندا والسويد اعتمادا على البيانات الواردة في الجدول (١) إذ جاءت نسبة الاعالة مرتفعة في العراق (٩٧%) مقارنة في السويد (٥٥%) وبولندا (٥٤%) التي جاءت متقاربة مع السويد على الرغم من اختلافهما على مستوى صغار السن وكبارهم بشكل واضح^{١٤}.



الشكل (١) المثاث السكاني لكل من العراق والسويد وبولندا

جدول (١)

توزيع نسب مجاميع السكان العمرية من اجمالي السكان في ثلاث دول (%)

الدولة	السنة	اقل من ١٥	١٥-٦٤	٦٥ سنة فاكثر
العراق	١٩٨٧	٤٥,٨	٥٠,٧	٣,٥
بولندا	١٩٨٦	٢٥,٧	٦٤,٩	٩,٤
السويد	١٩٨٧	١٧,٣	٦٤,٥	١٨,٢

المصدر: U. N., Demographic Year book 1987, Table (7), تعداد السكان في العراق لعام

١٩٨٧ (مجموع القطر)، جدول (٢١)، ص ٧٤.

ومن المجموعات العمرية الثلاث يمكن استخراج نسبة الاعالة العمرية للسكان Dependency Ratio وهي النسبة المئوية لغير القادرين على العمل الى جملة السكان في سن العمل كما موضح في المعادلة الاتية:

نسبة اعالة السكان = صغار السن + كبار السن / السكان ذوي النشاط الاقتصادي

ويشير تطبيق معادلة نسبة الاعالة العمرية في العراق بحسب بيانات تعداد عام ١٩٨٧

الى انها بلغت ٩٧%، انخفضت في عام ٢٠٠٩ الى ٧٨%^{١٥}.

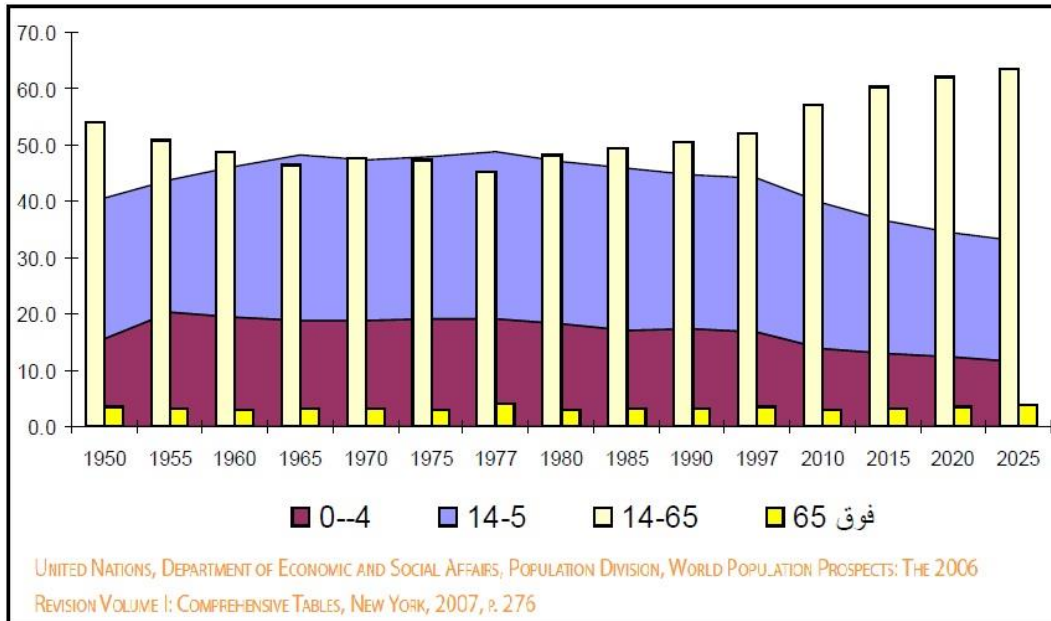
وقد يزيد الرقم عن ١٠٠ في بعض الاقطار العربية مثل سوريا والاردن والجزائر، الا ان استخدام نسبة مجموع السكان (بعد استبعاد النشطين منهم) والبالغ عددهم ١٢,٤ مليون نسمة الى السكان النشطين (٣,٩٦ مليون نسمة) يجعل النسبة مرتفعة بحيث تبلغ ٣١٣، اي ان كل مئة شخص من ذوي النشاط الاقتصادي يتحمل عبء اعالة ٣١٣ شخصا. وهي نسبة مرتفعة بسبب زيادة نسبة صغار السن، ومنع تشغيل الاحداث دون سن العمل، وقلة مشاركة المرأة في النشاط الاقتصادي، وتوسع فرص التعليم^{١٦}.

التغير والتحول في البنية العمرية للسكان^{١٧}.

يعد التغيير في بنية السكان العمرية من اكثر التغيرات التي ينطوي عليها التحول الديموغرافي تائيراً على النمو الاقتصادي نتيجة للتباين في السلوك الاقتصادي للفئات العمرية الثلاث (الصغيرة والوسطى والكبيرة). فالفئة العمرية الصغيرة (اقل من ١٥ سنة) تقع خارج النشاط الاقتصادي ومستهلكه لانها تعتمد على الفئة الوسطى في توفير خدماتها ومتطلباتها الاستهلاكية مثل التعليم والصحة والغذاء وما الى ذلك.

وهذا يتطلب من الفئة المنتجة توفير استثمارات كبيرة في القطاعات الاجتماعية، مما يجعل تلك الفئة تقترب من فئة كبار السن (٦٥ سنة فاكثر)، وهي فئة مستهلكة أيضاً ومستنزفة للادخار السابق لمواجهة انفاقها الاستهلاكي. وبالتالي فهي بحاجة الى المزيد من الاستثمارات في المجال الصحي. مما يجعلها مثبطة للنمو في الأجل القصير والمتوسط على نقيض فئة العمر الوسطى (١٥-٦٤ سنة) التي تؤدي دور المنهج والمعيّل للفئتين السابقتين من خلال مساهمتها في النشاط الاقتصادي وزيادة الدخل وتراكم الثروة والادخار الوطني.

يشهد العراق تحولاً ديموغرافياً من خلال انخفاض معدل النمو السكاني (من ٣,٤% خلال المدة ١٩٤٧-١٩٥٧ الى ٣% ابان المدة ١٩٩٧-٢٠٠٩)، لكن المعدل مازال يعد مرتفعاً. وهذا الارتفاع ناجم عن زخم الزيادة المتأتية من السنوات السابقة. ويتوقع أن ينخفض كثيراً الى ١,١% خلال المدة ٢٠٤٥-٢٠٥٠ حينما يصل الى نهايات التحول الديموغرافي. لكنه سيبقى بين أعلى أربعة معدلات تتمثل في العراق وكل من الصومال وفلسطين واليمن، ويمثل ثلاثة أضعاف المعدل المتحقق في البلدان النامية^{١٨}.

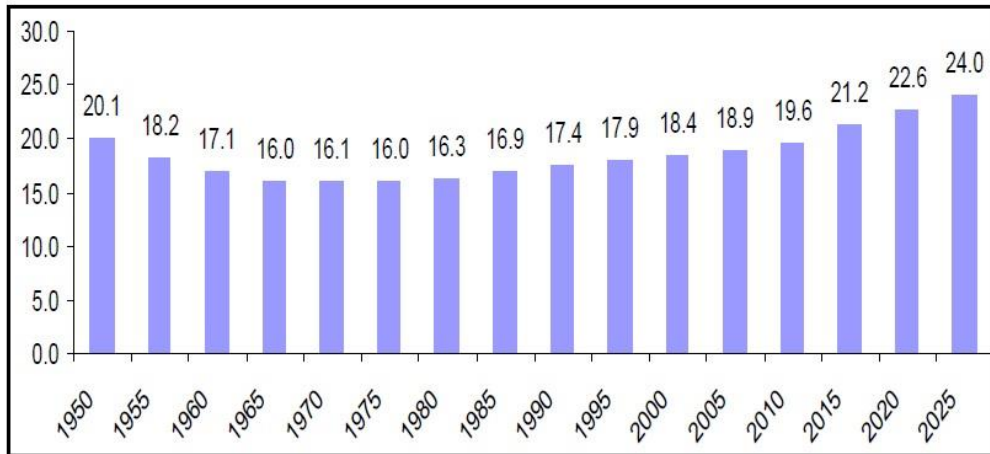


شكل (٢) : الفئات العمرية للسكان وتطور الفئة النشطة اقتصادياً (%)

وتشير العلاقة بين النمو السكاني والتنمية إلا ان النمو المذكور قد يكون محفزاً لزيادة التنمية من خلال رفع معدل النمو الاقتصادي والاجتماعي، وذلك عندما ترافقه تغيرات نوعية للتركيب السكاني بحيث تؤدي الى زيادة الفئة الوسطى القادرة على العمل لا تقل نسبتها عن النصف.

وهذا يتطلب من اللجنة الوطنية للسياسات السكانية في العراق والمخططين في المجال الاقتصادي والاجتماعي إعداد ووضع السياسات التي تحقق الاهداف الاستراتيجية الطويلة الامد والتي ترمي الى إحداث تغييرات كمية ونوعية في حياة السكان لبلوغ التنمية المستدامة وتحقيق العدالة وتكافؤ الفرص.

ويعد **العمر الوسيط** من المؤشرات التي تعكس حدوث تغيرات في البنية العمرية للسكان، اذ يقسم هذا العمر السكان الى مجموعتين عمريتين متساويتين، الاولى اصغر من العمر الوسيط، والثانية اكبر منه. فاذا بلغ العمر الوسيط دون العشرين سنة عدَّ المجتمع يافعاً وفتياً، واذا ما وصل ما بين ٢٠-٢٩ سنة عد المجتمع متوسطاً، في حين يعد المجتمع كهلاً اذا ما بلغ العمر الوسيط ٣٠ سنة فاكثر. وتشير الارقام المتاحة حالياً عن العمر الوسيط الى ان المجتمع العراقي يعد يافعاً حتى عام ٢٠١٠، ويصبح منذ عام ٢٠١٥ مجتمعاً ذا عمر وسط نتيجة لزيادة نسبة السكان في عمر الشباب.



شكل (٣) : العمر الوسيط لسكان العراق ١٩٥٠-٢٠٢٥

ان ديناميكية تغيير البنية السكانية العمرية تتشأ مع انخفاض معدلات الخصب،
والمؤشرات تشير الى انخفاضها واستمرارها في هذا الاتجاه. الامر الذي سيؤدي الى تغيير المجتمع
ذي الغالبية المعالة من صغار السن الى مجتمع تشكل فيه الفئة الوسطى المنتجة نسبة اكبر. وهذا
يعني ان معدل نمو تلك الفئة سيفوق معدل نمو الفئات المعالة (صغار السن وكبارهم)، وهو
ما يطلق عليه مصطلح الهبة او النافذة الديموغرافية.

ويحدث التغيير في التركيب العمري للسكان نتيجة التحول الديموغرافي في الخصب
والوفيات وانتقائية الهجرة للفئات العمرية (٢٠-٤٠ سنة). ويظهر ذلك في شكل الهرم السكاني، وهو
انعكاس لفئات العمر حسب النوع (ذكور واث)، ويمثل خلاصة التغيرات الديموغرافية من الماضي
الى الحاضر. بل ان شكل الهرم يعكس الكثير من العلاقات الاجتماعية في الماضي والحاضر
والمستقبل.

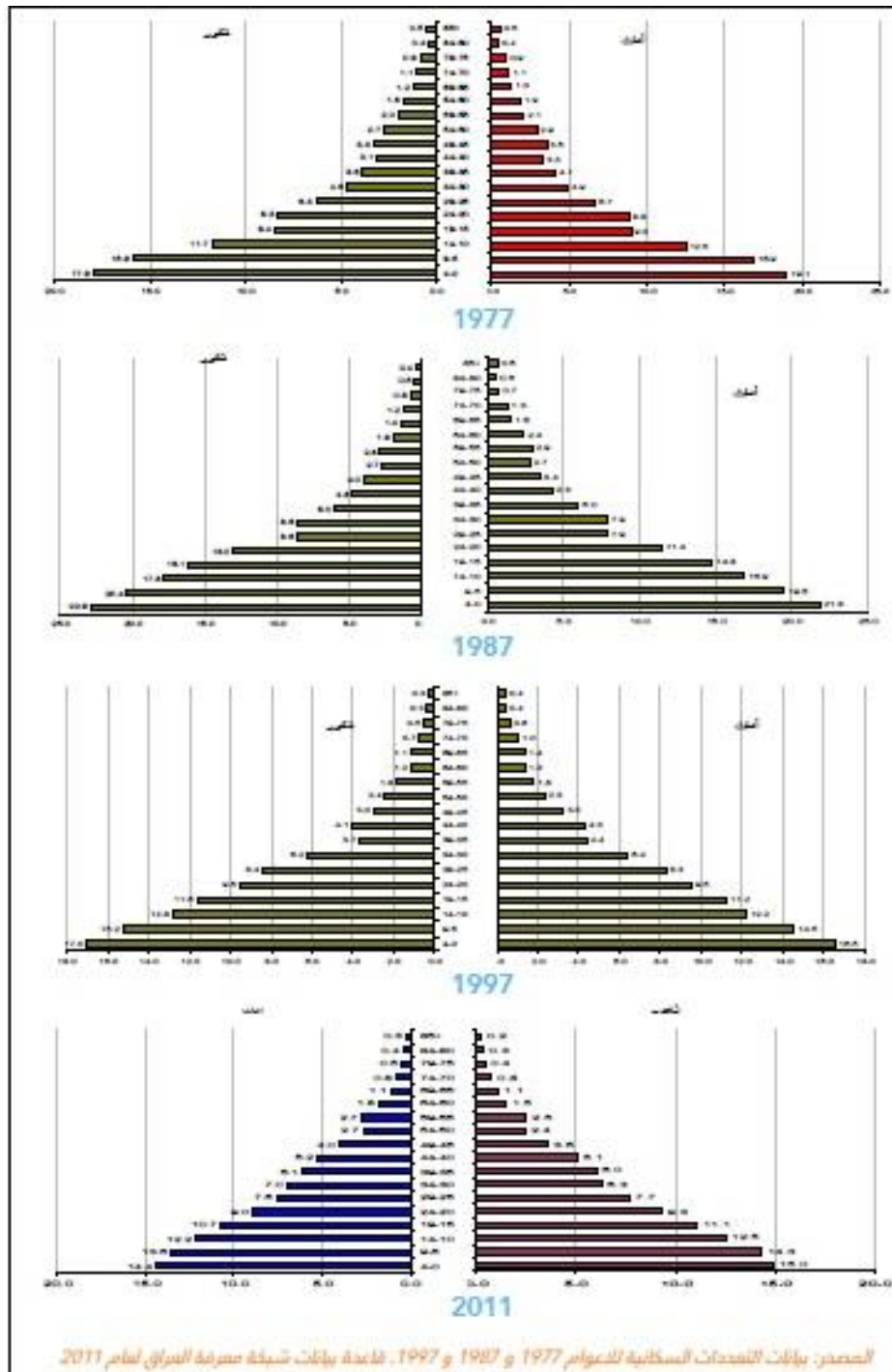
وعلى الرغم من احتمال ارتفاع العمر المتوقع للسكان في المستقبل بحيث يبلغ ٧٠,٢ سنة
عام ٢٠١٠-٢٠١٥ و٧١ سنة عام ٢٠١٧، فان الاتجاهات تشير الى ارتفاع نسبة الشباب حتى
عام ٢٠٢٠ لتبدأ بعدها بالانخفاض التدريجي الطفيف، نتيجة تراجع نسبة الفئات صغيرة السن، اما
الفئات الأكبر عمراً فان نسبتها ستزداد.

ونتيجة لاستمرار انخفاض معدلات وفيات الاطفال دون سن الخامسة (من ٦٢ وفاة لكل
الف مولود حي عام ١٩٩٠ الى ٤١ وفاة عام ٢٠٠٦ والى ٣٨ وفاة عام ٢٠١١^{١٩} والى ٣١ وفاة
عام ٢٠١٧^{٢٠})، مقابل استمرار ارتفاع معدلات الخصب منذ مرحلة السبعينيات (بحيث بلغ معدل
الخصب الكلي ٦ طفل /امرأة عام ١٩٨٥-١٩٩٠، انخفض الى ٤,٦ طفل /امرأة عام ٢٠١١^{٢١}
والى ٤ طفل /امرأة عام ٢٠١٧)^{٢٢}، بدأت قاعدة الهرم السكاني بالاتساع فارتفعت نسبة الاطفال
وكذلك فئتي الشباب (١٥-٢٩ سنة) بحيث وصلت الى ٢٨% طبقاً لتقديرات عام ٢٠٠٦. مما
يعني وجود ثمانية ملايين شاب (بقدر سكان العراق عام ١٩٦٥).

وتتوقع الدراسات زيادة عدد الشباب خلال العقدين القادمين بحيث يصل عددهم للفئة
العمرية ١٥-٢٤ سنة الى ٨,٦ مليون نسمة عام ٢٠٢٥^{٢٣}. حيث يفترض ان يؤدي هذا العدد من
الشباب دوراً مهماً في الحياة بكافة اشكالها (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية) في
المستقبل المنظور.

وقد طرأ تحول على الهرم السكاني (العمرى والنوعى) بين عامي ١٩٧٧، ١٩٩٧ كنيته
لانخفاض الخصب، فانخفضت نسبة صغار السن (٥-١٤ سنة) خلال تلك المدة بنسبة ٤,٣%. في

حين ازدادت نسبة الشباب بعمر (١٥-١٩ ، ٢٠-٢٤ سنة) بنسبة ٣,٢%. أما نسبة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) فقد انخفضت بنسبة ٠,٤% كنتيجة مباشرة لتراجع معدل توقع الحياة.



شكل (٤) : الهرم السكاني للعوام 1977 و 1987 و 1997 و 2011

ولقد أدى التحول الديموغرافي الى تغير التركيب العمري للسكان بحيث سبب بروز فئتي العمر الشابية (١٥-٢٩ سنة) في الهرم السكاني من جراء انخفاض معدل الخصب، وهو ما يعرف بالعائد الديموغرافي أو النافذة الديموغرافية وتصبح هذه الظاهرة واضحة عند انخفاض الخصب الى معدل الاحلال تقريباً.

وتمثل هذه الظاهرة فرصة سانحة للاستفادة من توجيه الموارد لبناء قدرات الشباب واستثمار امكاناتهم في التنمية. وغالباً ما ترتبط الزيادة السريعة لفئة السكان الوسطى في سن العمل بزيادة الطاقة الانتاجية التي يمكن أن تزيد الناتج المحلي الاجمالي وترفع النمو الاقتصادي بافتراض تنفيذ السياسات السليمة في مجال التنمية الاجتماعية، فترتفع نسبة المراهقين (١٠-١٤ سنة) مقارنةً بفئتي الشباب (١٥-٢٩ سنة). وهذا يعني ان فئة المراهقين تتطلب من الدولة والمجتمع توفير برامج ومشروعات مناسبة لهم صحياً وتعليمياً ونفسياً وتزويدهم بالمهارات الحياتية المطلوبة وهو ما يستدعي الاهتمام ببناء قدرات تلك الفئة وتمكينهم من الاسهام في عملية التنمية. وهي تختلف عن احتياجات فئتي الشباب المشار اليهما، بسبب وقوفهما على أعتاب مرحلة جديدة تتطلب الاختيار بين العمل واكمال الدراسة وتكوين الأسرة.

الهبة الديموغرافية:

إن معدل النمو السكاني في فئة السكان النشطين اقتصادياً سيكون أعلى من معدل نمو السكان في الفئات المعالة وهي فئة صغار السن (أقل من ١٥ سنة) وفئة كبار السن (٦٥ سنة فأكثر) وهذا ما يعرف (بالهبة الديموغرافية أو النافذة الديموغرافية). ويدخل المجتمع في هذه المرحلة بعد أن يبلغ حجم السكان في سن العمل الذروة في الحجم مقابل أدنى حجم للسكان المعالين (الاطفال والمسنين). وهذه المرحلة تدوم مدة معينة تم تحديدها بجيل، بعدها يختل التوازن بين فئات السكان النشطين وبين السكان المعالين حينما تبدأ معدلات الاعالة بالارتفاع مرة أخرى عندما تنتقل الفئات العمرية النشطة الى فئة المسنين دون أن يحل محلها عدد مساو مما يؤدي الى النتائج الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الكهولة من ضغوط على الضمان الصحي وإنكماش السكان في العمل.

ولايزال معدل الخصب السكاني مرتفعاً في العراق بالرغم من الانخفاض النسبي له بين عامي ١٩٩٧ و ٢٠٠٦ (من ٥،٧ الى ٤،٣ طفل/ امرأة). وتشير المسوحات الحديثة الى أن المعدل بلغ ٤،٦ طفل/ امرأة سنة ٢٠١١.^{٢٤}

إن استمرار انخفاض معدل الخصب سيغير التركيب العمري للسكان، مما يجعل العراق على عتبة المرحلة الثالثة من مراحل التحول الديموغرافي ويقربه من انفتاح النافذة الديموغرافية، فتتفتح فرص الادخار والاستثمار تحفزها زيادة الطلب المرتبط بتحسين نوعية حياة الأسرة وليس حجمها^{٢٥}.

وليس أدل على قرب العراق من انفتاح النافذة الديموغرافية من ملاحظة تناقص معدل نمو الفئة المعالة مقابل تزايد معدل نمو الفئة النشطة اقتصادياً كما يتضح من جدول (٢).

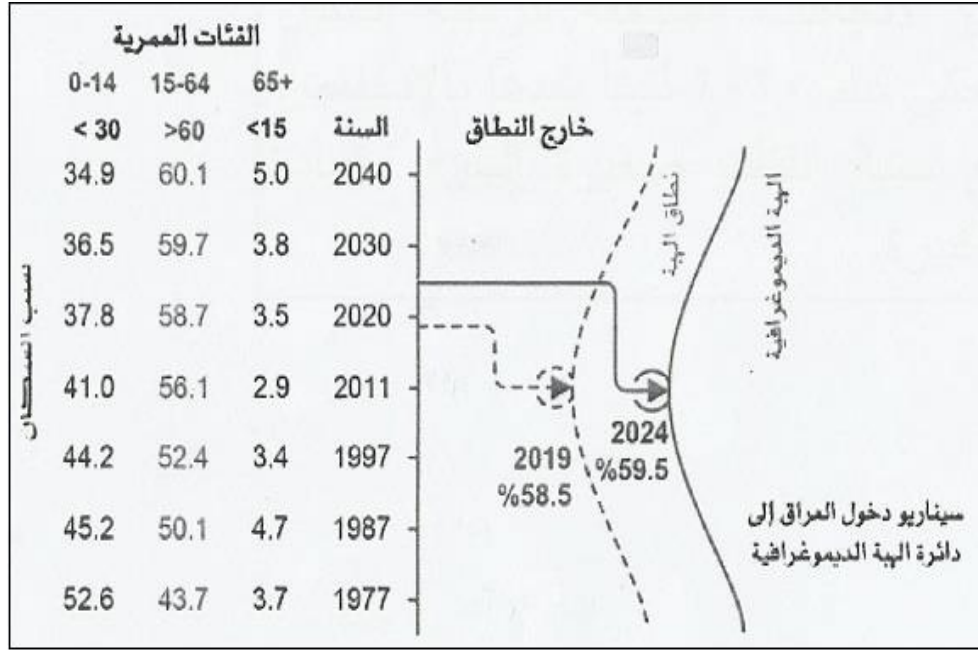
جدول (٢)

نسبة الفئة المعالة والنشطة اقتصادياً لسكان العراق بين عامي ١٩٧٧، ٢٠٤٠ (%)

السنة	الفئة المعالة (الصغيرة والكبيرة)	الفئة النشطة اقتصادياً
١٩٧٧	٥٦,٣	٤٣,٧
١٩٨٧	٤٩,٩	٥٠,١
١٩٩٧	٤٧,٦	٥٢,٤
٢٠١١	٤٣,٩	٥٦,١
٢٠٢٠	٤١,٣	٥٨,٧
٢٠٣٠	٤٠,٣	٥٩,٧
٢٠٤٠	٣٩,٩	٦٠,١

المصدر: مهدي محسن العلق ، الهبة الديموغرافية وتأثيرات التعامل الايجابي والسلبى فيها، بغداد، ١٩ كانون الاول ٢٠١٢، ص٣.

يوضح الجدول أن معدل نمو الفئة المنتجة، وهي النشطة اقتصادياً، ازداد بنسبة ٤٩ و ٠% بينما انخفض معدل نمو الفئة المعالة (الصغيرة والكبيرة) بنسبة -٠,٧% خلال المدة ١٩٩٧-٢٠٢٠ وهي تقريباً المعدلات ذاتها ابان المدة ١٩٩٧-٢٠١١، لذلك فإن العراق يقع على أعتاب النافذة الديموغرافية.

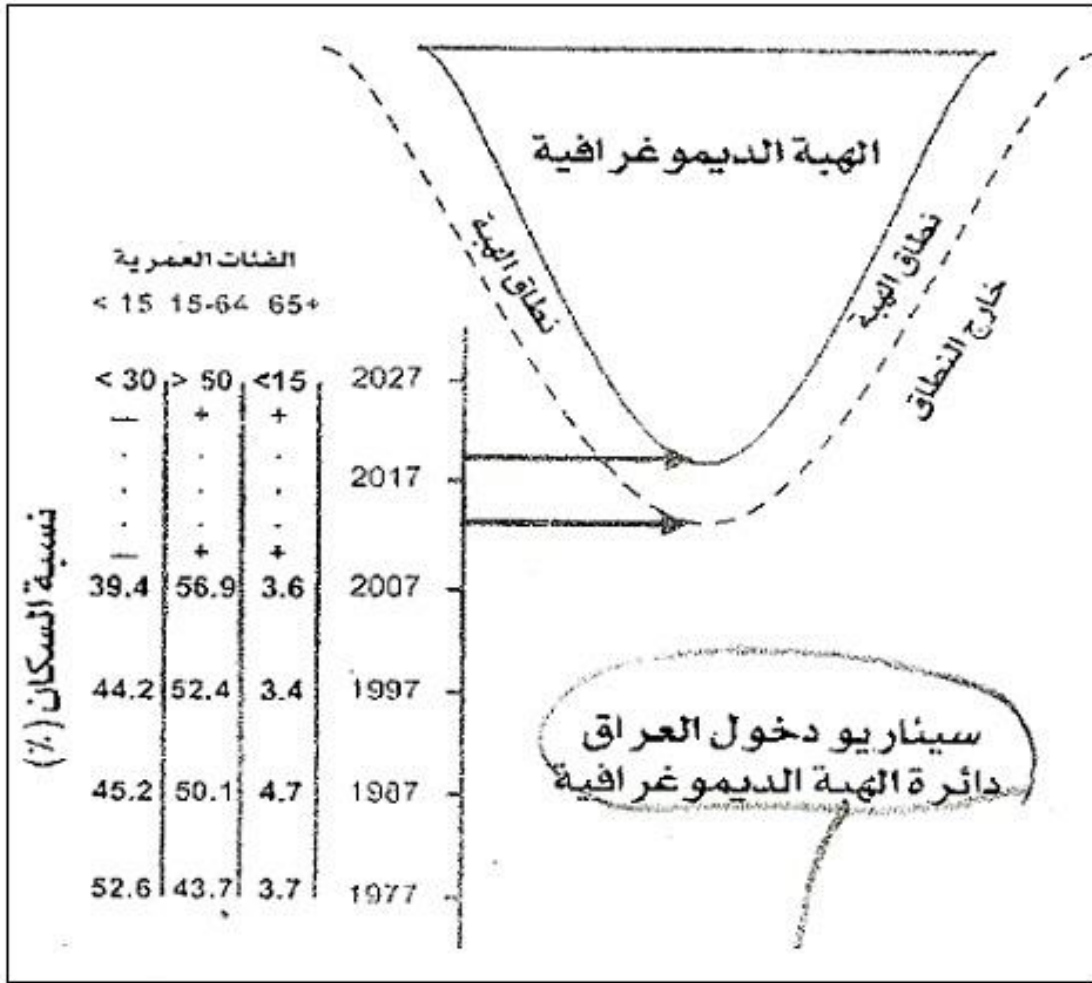


شكل (٥) : افتراضات دخول العراق الى دائرة الهبة الديموغرافية

إن النافذة الديموغرافية فرصة تنموية تظهر في البلدان التي تتميز باتساع قاعدة هرمها السكاني وتفتح الباب أمام عملية التحول الديموغرافي، لذلك هي فرصة تتيحها عملية التغيير النوعي في التركيب العمري للسكان. وبالتالي يمكنها أن تكون (نعمة) إذا ماتم الاستعداد لها من خلال بناء قدراتها البشرية واستثمارها في عملية التنمية. كما ويمكنها في حال هدر ماتخترنه من طاقات كامنة وضعف بناء قدراتها وتكاملها مع سوق العمل أن تكون (نعمة).

متى يدخل العراق نطاق الهبة الديموغرافية؟

إن دخول البلاد الى الهبة الديموغرافية يتيح الفرصة لتحسين نوعية حياة المواطنين بزيادة معدلات التشغيل وخفض معدلات البطالة والتمتع بمستويات عالية نسبياً من التنمية وبالتالي تحسين المستوى الميشي للمواطنين. مما ينعكس ذلك على الوضع التعليمي والصحي. ويلاحظ من الشكل (٦) أن العراق مازال بعيداً عن الدخول في تلك الحقبة. لذلك إن لم يتبن سياسة سكانية فعالة سيظل خارج نطاق الهبة الديموغرافية حتى عام ٢٠١٣، كما أنه بحاجة إلى عقد من الزمان يمتد الى عام ٢٠٢٠ حتى يتمتع بثمار الهبة الديموغرافية إن أحسن استغلالها.



شكل (٦) : سيناريو دخول العراق الى دائرة الهبة الديموغرافية

خيارات التعامل مع الهبة الديموغرافية:^{٢٦}

يترتب على وجود نسبة كبيرة من الشباب في العراق (ضمن الفئة الوسطى) أحد خيارين

تنمويين:

الخيار الاول: التعامل السلبي مع الهبة الديموغرافية والنسبة العالية من الشباب والاستمرار في

هدرها، وهو ما يحصل حالياً من تدني الخدمات المقدمة لها، يرافقها استمرار البطالة.

الخيار الثاني: التعامل الايجابي من خلال استثمار اكبر لهذه الفئة تعليمياً وصحة وتدريباً يرافقها

خفض معدلات البطالة من خلال بناء المشاريع الانتاجية وتوفير الخدمات والقضاء

على الفساد المالي والاداري، وتخصيص الاموال المهدورة بسبب هذا الفساد في المشاريع المفيدة للشباب خاصة الانتاجية منها وبناء قدرات طاقة هذه الفئة من السكان. والخيار الاول الذي سار عليه العراق أثبت أنه طريق سهل لهدر طاقة الانسان وفقدان التنمية، على نقيض بلدان أخرى انطلقت مع العراق في مضمار التنمية تبنت الخيار الثاني فسبقته في المضمار المذكور ولتثبت أن استثمار طاقة الشباب هو في جوهره تنمية أفضل وأقدر على الاستمرار في مضمار تلك التنمية.

إن انخفاض معدل الاعالة يمكن المجتمع من تحقيق نتائج اقتصادية واجتماعية أفضل من خلال تقليل العبء على الموارد. كما يمكن نسبة اكبر من السكان في الادخار والاستثمار المنتج. لذلك فإن اتباع سياسة سكانية من شأنها تفعيل دور الشباب يمكن أن يعزز هذا التوجه ويعزز العوائد الديموغرافية من خلال سياسات وبرامج تستهدف زيادة عدد الشباب المنتجين اقتصادياً. وفضلاً عما تقدم تتطوي الهبة الديموغرافية على آليات داعمة للنمو الاقتصادي من خلال انخفاض اعداد الفعاليين اقتصادياً واثراً ذلك على ارتفاع الدخل وانخفاض الاحتياجات الاستهلاكية لاسيما التعليم والصحة. وهو ما يعمل على رفع الادخار. اذ يميل الافراد في الفئة العمرية (٤٠-٦٥ سنة) الى ادخار نسبة اكبر من دخولهم استعداداً لمرحلة التقاعد، الامر الذي يساهم برفد الاقتصاد بالمدخرات ويعزز قدرته على تمويل المزيد من الاستثمارات.

ولا يمكن ان يحدث التأثير الايجابي للنافذة الديموغرافية في التنمية ما لم تتبع سياسة مؤسسية تحقق التكامل بين جانب العرض الذي يتمثل بانفتاح النافذة وبين جانب الطلب الذي يفترض ان تمثله حيوية الاسواق والتوزيع المنصف للفرص وبناء القدرات البشرية. ويمكن ان تؤدي ثمارها مع وصولهم الى سن العمل. وعندما تتكمش نسبة السكان المعاليين مقارنة بالسكان النشطين اقتصادياً، يصبح بالامكان زيادة الانتاجية وزيادة حجم الدخل وهذا ما تطلق عليه الادبيات السكانية اسم (الهبة الديموغرافية) التي ستتبع انخفاض معدلات الخصب بعد مضي ١٥-٢٥ سنة. ثم تعود اعمار السكان بعد ذلك للارتفاع فيرتفع معدل الاعالة. لذا يرى بعض الباحثين ان المدة الزمنية التي تمتد ما بين ٣٠-٤٠ سنة والتي تتميز بارتفاع نسبة السكان في سن العمل تعد فرصة ديموغرافية للنمو الاقتصادي، وان كانت مشروطة باستجابة السياسات الاجتماعية والاقتصادية في الدولة.^{٢٧}

وتشير التوقعات الى احتمال انتهائها في عام ٢٠٥٠ وفقاً للافتراض المتوسط والى عام ٢٠٤٠ وفقاً للافتراض المنخفض، اذ تبدأ معدلات الاعالة بالارتفاع بعد هذا التاريخ حينما تنتقل الفئات العمرية التي كونت القوة المنتجة الى خارج قوة العمل دون أن يحل محلهم عدد مساوٍ، مما

يؤدي الى النتائج الاقتصادية والاجتماعية التي تعاني منها المجتمعات الكهله من ضغوط أنظمة الضمان الصحي والخدمات الصحية وانكماش نسبة السكان في سن العمل. لهذا تبرز أهمية معرفة توقيت انفتاح هذه النافذة والتعامل الايجابي معها من خلال سياسات سكانية تنموية تدخلية في ضوء رؤية مستقبلية لآفاق العلاقة التكاملية بين السكان والتنمية.^{٢٨}

ان كون العراق أمام هبة ديموغرافية يعني زيادة الشباب في سن العمل، الأمر الذي يفرض أولوية الاستفادة منها من خلال صياغة سترراتيجية تنموية لاعداد رأس المال البشري معرفياً ومعلوماتياً ومهارياً) وتوسيع مشاركة الشباب في العمل من خلال خفض معدلات الخصب وزيادة معدلات الانتاجية وتحقيق خفض حقيقي في معدلات الاعالة الاقتصادية، وبخلافه فإن اقتناص هذه الهبة منها يمكن أن يهدر.

وتبرز عدة محددات للانفتاح على النافذة الديموغرافية أبرزها:

- ١- ارتفاع معدلات الخصب السكاني في الريف.
- ٢- انخفاض مساهمة النساء النشاطات اقتصادياً أو ما يعرف ب(الفاقد النسوي) في العمل خارج المنزل.

وقد اقترحت الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية في العراق عدة اجراءات ينبغي اتخاذها اتجاه الشباب للوصول الى الحالة السليمة واستثمار ميزات الهبة الديموغرافية لهذه الفئة من السكان، ومن هذه الاجراءات^{٢٩} :

١. توسيع مشاركة الشباب في العمل وسن التشريعات الضامنة لحقوق العاملين التي تحفز على الالتحاق بسوق العمل في القطاع الخاص.
٢. تكثيف الاستثمار في مجالات التعليم والتدريب وزيادة معدلات الانتاجية.
٣. تدعيم مشاركة المرأة الشابة في النشاط الاقتصادي.
٤. زيادة معدلات الادخار الوطني وتوجيهها نحو الفرص الاستثمارية المنتجة بما يعزز توفير فرص التشغيل للشباب.
٥. مناصرة تطبيق السترراتيجية الوطنية للشباب لتوسيع وتعزيز مراكز تمكين الشباب وتشجيع المبادرات على المستوى المحلي.
٦. دعم تنفيذ السياسات والبرامج الهادفة الى زيادة الاستثمار في التعليم والتكنولوجيا والابداع والابتكارات والرعاية الصحية والبنية التحتية اللازمة لها لخريجي المرحلة المتوسطة والمرحلة التالية لها.

جدول (٣)

النمو السكاني ومعدل الخصب وتوقع الحياة في العراق خلال المدة ٢٠٠٠ - ٢٠٣٠ وفقاً
للافتراض المتوسط

السنة	النمو السكاني (%)	معدل الخصب (طفل / امرأة)	توقع الحياة عند الميلاد (سنة)		
			اجمالي	ذكور	اناث
٢٠٠٠	٣,٢	٥,٤	٧١	٦٨,٣	٧٣,٧
٢٠٠٩	٣,٠	٤,٥	٦٩	٦٧,٤	٧٠,٦
٢٠١٧	٢,٧	٤,٠	٧١	٦٩,٥	٧٢,٤
٢٠٣٠	٢,٤	٣,٠	٧٦	٧٤,٦	٧٧,١

المصدر: U. N. Secretariat, Population Division, World population prospects: The 2010 Revision, اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل السكان في العراق ٢٠١٢، جدول (٥)، ص ٧٨. المجلس الاعلى للسكان في العراق، الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية، أيلول ٢٠١٣، ص ٢٨.

الخاتمة:

اتضح مما تقدم وجود علاقة وثيقة بين البنية العمرية للسكان في العراق والهبة الديموغرافية، إذ ان الاخيرة تتأثر بتلك البنية وتغيراتها التي شهدها ويشهدها العراق من خلال انخفاض الفئات صغيرة السن (اقل من ١٥ سنة) وتقليص قاعدة الهرم السكاني مقابل ازدياد تدريجي لفئة كبار السن واتساع الفئة الوسطى النشطة اقتصاديا ولاسيما فئة الشباب (١٥-٢٩ سنة) نتيجة لانخفاض الخصب السكاني وانخفاض معدل النمو فتظهر ما يطلق عليه اسم (الهبة او النافذة الديموغرافية). وهذا يتطلب تغيير المتطلبات التي تحتاجها فئات السن المختلفة والاهتمام بالشباب وهم الفئة المنتجة واستثمار تلك التغيرات في التركيبة العمرية لصالح البلاد باتباع سياسة سكانية مؤسسية تخدم جميع قطاعات السكان وتزيد الانتاج وتخفف البطالة وتقضي على الفساد المالي والاداري في جميع انحاء البلاد ومحافظاتها. غير ان المؤشرات تشير الى ان العراق يسير في الاتجاه المعاكس الذي يؤدي الى هدر طاقة الشباب وفقدان التنمية وعدم بناء القدرات البشرية وقلّة المدخرات وتقليل القدرة على تمويل الاستثمارات من خلال قلة التكامل بين جانبي العرض والطلب. اي بين العرض الذي يمثله انفتاح النافذة الديموغرافية وبين الطلب الذي تمثله حيوية ونشاط الاسواق في القطر ومحافظاته.

¹ John Clarke, Population Geography, 2nd edition, Pergamon Press, Oxford, U. K., 1975, P.65.

² Ralph Thomlinson, Population Dynamics: Cause and Consequences of world Demographic Change, Random House, Inc., New York, 1965, p. 427.

³ عباس فاضل السعدي، جغرافية السكان، ج ٢، مديرية دار الكتب للطباعة والنشر، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، جامعة بغداد، بغداد، ٢٠٠٢، ص ٧٢٨.

⁴ G. T. Trewartha, A geography of population: World Patterns, John & sons Inc., New York, 1969, p. 117.

⁵ عباس فاضل السعدي، سكان العراق: دراسات في أسسه الديموغرافية وتطبيقاته الجغرافية، ط ١، مكتب الغفران للخدمات الطباعة، بغداد، ٢٠١٣، ص ٢٨٠.

⁶ لين ت. سميث، أساسيات علم السكان، ترجمة محمد السيد غلاب وفؤاد اسكندر، المكتب المصري الحديث، جامعة الاسكندرية، ١٩٧١، ص ١٨٧.

⁷ وارين س. تومسون، دافيد ت. لويس، مشكلات السكان، ترجمة راشد البراوي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ١٩٦٨، ص ٩٧.

⁸ U. N., Methods of Appraisal of Quality of Basic Data for population Estimates, Manual 2, pop. Studies No. 23, New York, 1955, p. 40.

⁹ Ibid., p. 41,

كين هيل، طرائق تقييم وتصويب بيانات التعدادات السكانية النشرة السكانية، الاكوا، العدد ١٨، حزيران ١٩٨٠، ص ٤٣.
¹⁰ وزارة التخطيط، الجهاز المركزي للإحصاء، اسقاطات سكان العراق للفترة ١٩٨٧-٢٠٠٢، تقرير رقم (١)، بغداد، ١٩٨٩، ص ٦.

¹¹ عباس فاضل السعدي، سكان الوطن العربي: دراسة في ملامحه الديموغرافية وتطبيقاته الجغرافية، ط ١، مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع، عمان، الاردن، ٢٠٠١، ص ١٩١.

(*) وتنخفض هذه النسبة بموجب تقديرات (الأسكوا) عام ١٩٩٦ الى ٢,٧%.

¹² حول نسب الفئات العمرية عام ٢٠٠٩ انظر: المجلس الاعلى للسكان في العراق، الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية، ايلول ٢٠١٣، ص ٢٨.

¹³ عبد الحسين زيني، عبد الحلیم القيسي، الاحصاء السكاني، بغداد، ١٩٩٠، ص ١١١-١١٢.

¹⁴ عباس فاضل السعدي، جغرافية السكان، ج ٢، مصدر سابق، ص ٧٤٧.

¹⁵ حول نسبة الاعالة عام ٢٠٠٩ انظر: المجلس الاعلى للسكان، الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية، مصدر سابق، ص ٢٨.

¹⁶ عباس فاضل السعدي، سكان العراق، مصدر سابق، ص ٢٨٣.

¹⁷ انظر تقرير اللجنة الوطنية للسياسات السكانية ٢٠١٢، ص ٧٢-٧٧.

-
- ^{١٨} باري ميركن، المستويات السكانية وتوجهات المنطقة العربية وسياساتها: التحديات والامكانات المتاحة، سلسلة اوراق بحثية لتقرير التنمية الانسانية العربي، برنامج الامم المتحدة الانمائي ٢٠١٠، ص ٣٣.
- ^{١٩} اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني ٢٠١٢، ص ٤٤.
- ^{٢٠} المجلس الاعلى للسكان، الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية، ص ٢٨.
- ^{٢١} اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، تحليل الوضع السكاني ٢٠١٢، ص ٥٦.
- ^{٢٢} المجلس الاعلى للسكان، الوثيقة الوطنية للسياسات السكانية، ص ٢٨.
- ^{٢٣} راجي اسعد، فرزانة رودي فهيمي، الشباب في الشرق الاوسط وشمال افريقيا: فرصة ديموغرافية ام تحدي، المكتب المرجعي للسكان، موجز ١٣، ص ٢ (نيت).
- ^{٢٤} قاعدة بيانات المسح المتكامل للاوضاع الاجتماعية والصحية للمرأة العراقية لسنة ٢٠١١، والمسح المتعدد للمؤشرات لسنة ٢٠١١، ايضا: تحليل الوضع السكاني في العراق ٢٠١٢، ص ٥٦.
- ^{٢٥} عباس فاضل السعدي، سكان العراق، ٢٠١٣، مصدر سابق، ص ٣٦٧-٣٦٨.
- ^{٢٦} اللجنة الوطنية للسياسات السكانية في العراق، تحليل الوضع السكاني ٢٠١٢، ص ٧٧-٧٩.
- ^{٢٧} راجي اسعد، فرزانة رودي فهيمي، مصدر سابق، ص ٣.
- ^{٢٨} اللجنة الوطنية للسياسات السكانية، حالة سكان العراق ٢٠١٠، صندوق الامم المتحدة للسكان، مكتب العراق، بغداد، شباط (فبراير) ٢٠١١، ص ٢٨.
- ^{٢٩} المجلس الاعلى للسكان، الوثيقة الوطنية، مصدر سابق، ص ١٠-١١.